تصوّر الدولة القوميّة في ميثاق المدينـة

عبد السلام عارف
كلية الشريعة والقنون، الجامعة سونن كاليجاكا الإسلامية الحكومية بيوكياكرتا

الملخّص

إنّ هذا البحث يصوّر الدولة القوميّة في ميثاق المدينـة، هل معنى الأمّة فى ميثاق المدينة تحتوي معنى القوميّة التى تشتمل فيها مفاهيم عميقة أو تفهم ضيّقا لإرتبطها جوّ الإجتماعي الضيّق والحياة السياسية المحدودة التي سبّبها حدوث تعصّب القبيلة والإرتباط الدموي الذي حدده جدار الولادة. وقد كثر الباحثون الغربيّون أصلية ذالك ميثاق المدينة، وقد اعترفوا وصرحوا أنّ الوثيقة المكتوبة للميثاق معترفة بصحتها، ويعتقد كثير من الكتّاب أنّ ميثاق المدينة عبارة عن الدستور للدولة. وإنّ القوانين المضمونة في ميثاق المدينة قد أصبحت مبادئ أساسية لتكوين الإتحاد بين جميع أهل المدينة المنوّرة، وكانت القوانين التي قدّمت متأكدة الحقوق والواجبات المتساوية بين سكان المدينة. وهذا يدلّ على أنّ النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد أنشأ الظروف الطيبة لبناء مجتمع متّحد وهو مجتمع المدينة المنوّرة الموحّد بدون التفرقة بين الأديان و الإرتباط القبلي أو الإرتباط الدموي كتصوّر الدولة القوميّة المرتبطة بمعنى الأمة.

[Artikel ini membahas konsep negara bangsa dalam Piagam Madinah. Apakah konsep 'ummah' dalam Piagam Madinah berkonotasi kebangsaan dalam pengertian yang luas, modern, dan berskala nasional, atau semata-mata bersifat eksklusif, yakni terbatas hanya di kalangan muslim saja, meski realitas masyarakat Madinah waktu itu sangatlah heterogen. Diskusi mengenai Piagam Madinah telah banyak diulas oleh sarjana Barat dan Timur. Beberapa di antara mereka menelusuri keotentikan Piagam Madinah, beberapa ilmuwan lainnya melontarkan kritik dan membandingkan isi

Piagam Madinah dengan piagam-piagam yang lain, sementara beberapa orang lainnya menguak bobot politik Piagam Madinah. Berbagai hipotesa telah muncul. Kesemuanya menggarisbawahi signifikansi Piagam Madinah sebagai dasar-dasar sosial politik bagi masyarakat Madinah serupa dengan undang-undang. Karena itu, Piagam Madinah mencerminkan sebuah konstitusi berlaku dalam masyarakat Madinah yang terbentuk sebagai kesatuan politik dan diikat oleh kesepakatan bersama. Dengan piagam ini, warga yang bersifat heterogen menjadi satu kesatuan dengan hak dan kewajiban yang sama, saling menghormati walaupun berbeda suku dan agama. Tentu saja, isi Piagam Madinah merupakan suatu pandangan moderen dan merupakan suatu solusi politik dalam mengantisipasi dan mecegah persoalan yang diakibatkan karena keragaman. Ini dilakukan dengan membentuk apa yang dijelaskan dalam Piagam Madinah sebagai 'ummah.']

الكلمات المفتاحية: ميثاق المدينة، الامة، دولة قومية، دستور.

ا. المقدمـة

حقا، إن مسيرة التاريخ الإسلامي بدأت منذ نزول الوحي على النبي محمد عليه الصلاة والسلام في غارحراء. فمنذ ذلك الوقت كانت القيم الإنسانية التي جاء بها الوحي قضت على ثقافة الأمة الجاهلية وفككت عاداتهم وعدلت تقاليدهم التي كانت غير مناسسبة بالفطرة الإنسانية. وبالدعوة الدينية إلى التوحيد التي قام بها الرسول وأصحابه، وبصداها الذي أصبح يهزّ جميع أرجاء الجزيرة العربية، ظلت الفطرة الإنسانية وقيمها تتخذ موقعها داخل الحقيقة الصحيحة. وتلك الدعوة الدينية والتوحيدية هي التي غيرت وجه المجتمع الجاهلي قاصدة إلى تنظيم المجتمع المنسجم النشيط تحت قيادة الوحي الإلهي.

وكانت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة عبارة عن ظهور براقة الإسلام في الأزمنة المقبلة. وبعد مدّة غير طويلة من هجرته استطاع أن يؤلف الأخوة الإسلامية بين المهاجرين (من مكة المكرمة) وبين الأنصار (من أهل المدينة المنورة). وكان الرسول بعد وصوله إلى المدينة أخذ يبنى أول مسجد بقُباء (*Quba*) ثم عقد المعاهدة بين المسلمين وغير المسلمين في التعاون البنّاء، كما أنّه وضع الأسُس السياسية والإجتماعية والإقتصادية للمجتمع الإسلامي الجديد في تلك

المدينة المنورة. و تلك الأنشطة لاشك أنّ أصبحت مظهرا من المظاهر التي أعجب المؤرخين القدماء والمعاصرين، كما أنّها زعزعت مكانة مكة، وعلى الأخص عندما كان أهلها يشاهدون رسالة النبوة المحمدية قد شرعت تتحقّق وتظهرظهورا واضحا في ذلك الوقت.

وقد نجح النبي صلى الله عليه وسلم في تشكيل المجتمع الإسلامي بالمدينة المنوّرة الذي سماه بعض المثقفين المعاصرين بالدولة المدينية (*city state*). وبدعم أعضاء جميع القبائل المنتشرة في سائر أنحاء الجزيرة العربية الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك الحين ظهر بعد ذلك دولة قوميّة (*nation state*). ورغم أن كان الإسلام منذ بداية تاريخه لم يعيّن أي قرار بخصوص شكل الدولة فضلا عن مفهومها المراد، إلاّ أنّ الواقع أنّه دين يحتوي على مبادئ الحياة الأساسية التي كان من ضمنها سياسة ودولة.

أصبح رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذلك المجتمع الإسلامي زعيما بمعناه الواسع، إذ أنّه زعيم للدين وفي نفس الحالة زعيم للمجتمع. على أنّ فكرة الرسول التي كانت ملهمة من القرآن الكريم هي التي ظلت منبعا لظهور ميثاق المدينة الذي كان يضم ٤٧ فصلا، من بينها ما يتعلق بحقوق الإنسان الأساسية فضلا عن واجباته نحوالدولة وحقوقه منها، بجانب حماية الحكم إياه ولزوم التسامح الديني. وتلك الأمور سماها الخبراء في علم السياسة الحديثة بمانيباستو السياسة الأولى (*Manifesto Politik I*) في الإسلام.

ب. ميثاق المدينة وأصليته

وقد روى ابن إسحاق (توفي عام ١٥١ هـ)[١] وابن هشام (توفي عام ٢١٣ هـ)[٢] ميثاق المدينة المذكور رواية كاملة. وكما هو معروف أنّ كل واحد منهما خبير في المادة. جدير بالذكر أنّ الباحث أحمد إبراهيم الشريف كان يرى أنّه ليس هناك راو ولا كاتب آخر كتب قبلهما عن الميثاق كتابة كاملة سائرة على الترتيب الأصح.[٣] ورغم ذلك

[١] ابن اسحاق، *سيرة الرسول* (مصر: بابي الحلبي، الجزء الثاني، بدون سنة)، ص. ٣٤٨-٣٥١ cf. A. Guillaume, *The life of Muhammad, a Translation of Ibn Ishaq's Sirah Rasul Allah* (Oxford: University Press، ١٩٧٠) ص. ٢٣١-٢٣٣.

[٢] ابن هشام، *السيرة النبوية* (مصر: بابي الحلبي، الجزء الثاني، ١٩٥٥)، ص ٥٠١-٥٠٥.

[٣] أحمد إبراهيم، *مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول* (مصر: دار الفكر، ١٩٦٥)، ص ٣١٢.

فإنّ صحة ذلك الميثاق فضلا عن أصليته لاريب فيها، إذ أنّ أساليب اللغة المستعملة فيه وتراتيب ألفاظها متماشية مع أساليب اللغة وتراتيب ألفاظها المستعملة في ذلك الزمان. وهكذا حالة الأفكار المضمونة فيه مناسبة للحالة الإجتماعية والتاريخية في نفس الزمان. وقد اعترف مونتـغومري وات (Montgomery Watt) بأصلية ذلك الميثاق حينما صرح أن الوثيقة المكتوبة للميثاق معترفة بصحتها على سبيل العام وليس بممكن أن يزيّف أو يكتب في عصر الدولة الأموية ولا في عصر الدولة العباسية مهما أعتبر في مضموناته أشخاص غير مسلمين من وحدة الأمة.[٤]

على أن جماعة من الكتّاب الذين عاشوا بعد ابن إسحاق وابن هشام نقلوا منهما ميثاق المدينـة وقدّموا له بعض التعليقات. ومن الكتّاب القدماء الذين نقلوا الميثاق نقلا كاملا: أبو عبيد قاسم بن سلام في كتابه كتاب الأموال، و عمر الموصلي في كتاب وسيلة المتـعبّدين وابن سيّد في كتاب سيرة الناس. أضف إلى ذلك فإن هناك بعض الكتّاب الكلاسيكيين والروّاة الذين كتبوا بعضا من الميثاق، وذلك مثل الإمام ابن حنبل (٢٤١ هـ) في المسـند، والدارمي (٢٥٥ هـ) في *السنن*، والإمام البخاري (٢٥٦ هـ) في *صحيح البخاري*، والإمام مسلم (٢٦١ هـ) في *صحيح مسلم*، وأبو داوود (٢٧٢ هـ) في *سنن أبي داوود*، وابن ماجه (٢٧٣ هـ) في *سنن ابن ماجه*، و الترميذي (٢٧٩ هـ) في *سنن الترميذي*، ونسائي (٣٠٣ هـ) في *سنن النسائـي*، والطبري في *تاريخ الأمم والملوك*.

وجدير بالذكر أن ميثاق المدينة قد ترجم إلى اللغات الأجنبية المختلفة، وذلك مثل الترجمة إلى اللغة الفرنسية التي قام بها محمد حميدالله سنة ١٩٣٥ للميلاد، والترجمة إلى اللغة الإنكليزية ظهرت مكتوبة فيIslamic Culture (الثقافة الإسلامية) رقم ٩ بواسطة هيدرابات سنة ١٩٣٧، وفي Islamic Review صدرت في أغسطس – نوفمبر ١٩٤١ بموضوع: The first Written Constitution of the World. وبجانب ذلك قام مجيد حضاري أيضا بترجمته ثم نشره في كتابه الحرب و السلم في القانون الإسلامي (War and Peace in the Law of Islam) سنة ١٩٥٥، ثم تابعه ر. ليفي (R.Levy) في كتابه:The Social Structure of Islam (الثقافة الإجتماعية في الإسلام) سنة ١٩٥٧، وقد ترجم ويليام مونتغومري وات الميثاق إلى اللغة الإنجليزية

[٤] ويليام مونتغومري وات، *Muhammad at Madina* (London: Oxford University Press، ١٩٥٦)، ص. ٢٢٥.

ترجمة كاملة وقدّم له التعليقات في كتابه: Islamic Political Thought سنة ١٩٦٨. وأما ترجمته إلى اللغة الألمانية فقد قام بها ويلهوسان (Wellhausen)، وترجمته إلى اللغة الإيطالية قام بها ليون كايتاني (Leone Caetani) ثم ترجمته إلى اللغة الهولندية قام بها أ.ج وينسينك (A.J. Wensinck)، وترجمته إلى اللغة الإندونيسية في أول مرة قام يها زين العابدين أحمد.[٥] يرى محمد حميدالله وهو الذي قام بالبحث والتنقيب حول ميثاق المدينة الذي بحث فيه بعض الكتب أن هناك عددا من الكُتّاب بلغ عددهم ٢٩٤ كاتب، كتبوا الميثاق في كتبهم باللغات المختلفة أغلبيّتها باللغة العربية ثم تليها باللغات الأوروبية.[٦] وذلك كله يدل لنا ما كان للكتاب والباحثين من عزم للبحث والتنقيب نحو ميثاق المدينة الذي أصبح ورثة قيمة من عند النبي عليه الصلاة والسلام.

كانت النصوص الأصلية لميثاق المدينة خالية عن الفصول. فالفصول الموجودة التي بلغ عددها ٤٧ فصلا، ليس إلا إعطاء من عند أ.ج وينسينك (A.J Wensinck) في كتابه: *Mohammad en de Joden te Madina* الذي كتبه سنة ١٩٢٨ للميلاد للحصول على درجة الدكتورة في الآداب السامية. وعن طريق كتابه المذكور كان لوينسينك سهم كبير في نشر الميثاق في المجتمع وعلى الأخص بين العلماء الغربيين المجدّين في دراسة العلوم الإسلامية.، أما تقسيم الفصول المذكورة إلى عشرة أبواب فقد قام بذلك زين العابدين أحمد.

تدل فرضية مونتغومري وات أن ميثاق المدينة الذي وصل إلينا في الحقيقة يتكون من الوثيقتين المنفصلتين أصلا، ثم حدث بينهما الجمع والتنقيص والتغيير هنا وهناك.[٧] وهذه الفرضية وضعها مونتغومري بسبب وجود التكرار في عدد من فقراته بجانب وجود امكانية ظهوره بعد عام ٦٢٧ للميلاد، يعني بعد طرد اليهود من بني قينقاع واليهود من بني نضير فضلا عن بني قريظة من المدينة المنورة على أساس قرار سعد بن معاذ رئيس قبيلة أوس. على أن هذه الفرضية الأخيرة قد قدّمها مونتغومري وات بسبب أنّ القبائل اليهودية الثلاثة المشهورة المذكورة لم تذكر

[٥] أنظر إلى زين العابدين أحمد، *Piagam Nabi Muhammad SAW* (Jakarta: Bulan Bintang، ١٩٧٣)، ص. ٤-٥.

[٦] أنظر: محمد حميدالله، *مجموعة الوثائق السياسية* (بيروت: دار الإرشاد، جزء ٣)، ص. ٤٩١-٥٠٩.

[٧] مونتغومري وات، *Islamic Political Thought* (Edinburg: Edinburg University Press، ١٩٦٨)، ص. ٤-٥.

داخل ميثاق المدينة. وإذا صحت تلك الفرضية فكانت تدل على أن تناسبها وإصابة السياسة المضمونة فيه غير كاملة وكانت ناقصة، مع أنّ مضمونة ذلك الميثاق كانت مرجوة لتوحيد مجتمع المدينة المتعددة القبائل. وهذا معناه أنّ ميثاق المدينة قد وضعه الرسول عليه الصلاة والسلام منذ بداية قدومه إلى المدينة حوالي سنة ٦٢٢ للميلاد. وبهذا، لنا أن نقول: من الممكن أن يكون ذلك الميثاق وثيقة وحيدة موجهة إلى جميع سكان المدينة، ثم طرأ عليه بعد ذلك التصحيح، وخصوصا بعد أن أنكرت ثلاث القبائل اليهودية المذكورة عهودها - إنكارا من عند نفسها بدون موافقة نحو الرسول - عن طريق القيام بحركة هجومية نحو حكومة المدينة المنورة.

جـ. بعض التعليقات حول ميثاق المدينـة

هناك عدد من التعليقات حول محتويات ميثاق المدينة التي قدّمها بعض من المستشرقين الغربيين أو من بعض الكتاب المسلمين أنفسهم، ومن تلك التعليقات هو التعليق الذي قدمه أ.غويلاووم (A.Guillaume) وهو أحد بروفيسور في اللغة العربية و كاتب كتاب *The Life of Muhammad* (حياة محمد). فقد صرح سيادته أنّ الميثاق الذي وضعه محمد من الوثائق التي أيّدت لزوم الحياة جنبا بجنب بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين المسلمين واليهود من جهة أخرى، كل واحد منهم يحترم دين غيره، كما يحمي كل واحد منهم ملك غيره. ولكل واحد منهم واجبات متساوية في الدفاع عن المدينة المنوّرة.[٨] وقد قدّم هـ. ر. جيب (H.R. Gibb) تعليقه فيما يتعلق بذلك فصرح أن مضمونات ميثاق المدينة وضعت المبادئ الإجتماعية السياسية لمجتمع المدينة نفسها. وهي في نفس الحالة قد أصبحت قوانين كما كانت نتيجة لأفكار الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه.[٩] وتماشيا مع ذلك صرّح مونتفومري وات تصريحا أصوب أنّ ميثاق المدينة ليس إلاّ قانونا من القوانين التي تصوّر أنّ أهل المدينة في ذلك الحين يمكن أن يعتبروا أنّهم كوّنوا وحدة السياسة فضلا عن الشريكات المربوطة بالعهود بين هؤلاء الأهل.[١٠]

---

[٨] أ. غويلاووم، *The life of Muhammad*، ص. ٢٣١.

[٩] أنظر إلى هـ. ر. جيب، *Mohmammedanism: an Historical Survey*, (Oxford: Oxford University، ١٩٤٩)، ص. ٤٣.

[١٠] ويليام مونتغومري وات، *Muhammad Prophet and Statesman* (London: Oxford

وبجانب هؤلاء الباحثين المذكورين قام الباحثون المسلمون بالبحث في ذلك الميثاق أيضا، ومن بينهم الشيخ جمال الدين سرور وهو أحد الأساتذة لمادة التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة بمصر. صرّح الشيخ أنّ القوانين المضمونة في ميثاق المدينة قد أصبحت مبادئ أساسية لتكوين الإتحاد بين جميع أهل المدينة المنوّرة، تلك القوانين التي قدّمت الحقوق والواجبات المتساوية بين المهاجرين والأنصار والأمة اليهودية.[١١] والشيخ محمد خالد وهو أحد كُتّاب تاريخ النبي، وقد ألقى الشيخ تصريحه أيضا أنّ المضمونات الأهم من ميثاق المدينة هو تكوين المجتمع الإسلامي الذي يحوط به الود والسلام فضلا عن تثبيت حكومة تقوم على أساس تساوي الحقوق[١٢]

وقد قدّم الشيخ حسن إبراهيم حسن بحثه الأدق في الميثاق على شكل التلخيص أنّ وجود الميثاق يدلّ رسميا على قيام دولة (إسلامية). ومضمونات الميثاق تُلخّص في أربعة أمور:

الأول: إنّ الميثاق يوحّد جميع المسلمين على كثرة قبائلهم في ربط واحد أو جماعة واحدة

الثاني: إنّ الميثاق يحيي روح التعاون البنّاء والحياة جنبا بجنب بين أبناء الشعب بحيث يضمن كل واحد منهم (سلامة) غيره.

الثالث: يقرر في الميثاق أنّ لكلّ واحد من أعضاء المجتمع واجبا في حمل السلاح والدفاع عن أمن المدينة المنورة من هجوم الأعداء الذين يأتون من الخارج

الرابع: إنّ الميثاق يضمن وجود المساواة والحرية للأمة اليهودية فضلا عى معتنقي الأديان الأخرى في تحليل أمورهم ومسائلهم.[١٣]

إنّ البحوث والتعليقات التي قدمها هؤلاء الكتّاب فيما يتعلق بميثاق المدينة على اختلاف طرائقها وتنوّع عباراتها لم تزل كثيرة، إلا أن لكل واحدة منها تسوية، يعني أنّ الميثاق قد وحّد أهل المدينة على اختلاف عناصرهم حتى أصبحوا في مجتمع واحد حيث كان لكل واحد منهم حقوق وواجبات متساوية، و يحترم كل واحد منهم غيره،

University Press، ١٩٦٩)، ص. ٩٤.

[١١] محمد جمال الدين سرور، *قيام الدولة العربية الإسلامية* (القاهرة: ١٩٥٢)، ص ٧٨-٧٩.

[١٢] أنظر: محمد خالد، *ختم الأنبياء* (القاهرة: ١٩٥٥)، ص - ١١٦.

[١٣] أنظر: حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي* (القاهرة: مكتبة نهضية، الجزء ١، ١٩٦٤)، ص. ١٠٠-١٠٣.

رغم أن كانوا مختلفين في القبيلة والدين. وذلك لاشكّ نتيجة لأنظار محمد عليه الصلاة والسلام البعيدة التي تسوق الأمة إلى الأمام، فضلا عن حكمته السياسية الخارجة عن العادة، في سبيل الدفاع عن المجتمع المتعدد العناصر عن طريق تشكيل مجتمع جديد سمي بعدُ باصطلاح» أمـة «.

د. إحتواء معنى «الأمـة» في ميـثاق المدينة

ظهرت مساعي العلماء الغربيين في البحث عن أصل كلمة «الأمـة». وذلك لأنّهم يرون أهمية تلك الكلمة، ولاسيما بعد اشتمال ميثاق المدينة عليها. فقد قدّم في الموسوعة الإسلامية (*Encyclopaedia of Islam*) أن كلمة ''الأمـة'' ليست أصلية من اللغة العربية، وكان أصل تلك الكلمة عند مونتغومري وات من اللغة العبرنيّة التي كان معناها قبيـلة أو مجتمعا.[١٤]

وخروجا عن البحث عن أصول تلك الكلمة، فالواضح أنّها تذكر في القرآن الكريم حوالي ٥٢ مرة، وكانت منتشرة في شتى الآيات.[١٥] وأما في ميثاق المدينة فتذكر تلك الكلمة مرتين، يعني في الفصل الثاني (٢) والفصل الخامس والعشرين (٢٥)، إلّا أنّها مشتملة في الفصول التي تليها كما يذكر فيما يأتي:

١. هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش و أهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.
٢. إنّهم أمـة واحدة من دون الناس.
٣. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٤. وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٥. وبنو الحارس على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

---

[١٤] أنظر: ويليام مونتغومري وات، *Islamic*، ص. ٩.

[١٥] أنظر: محمد فؤاد عبد الباقي، *معجم المفهرس لألفاظ القرآن* (مصر: دار الفكر، ١٩٨١)، ص. ٨٠-٨١.

٦. وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٧. وبنو جشم على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى، عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٨. وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى، عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٩. وبنو عمروبن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى، عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
١٠. وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى، عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
١١. وبنو الأوس على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى، عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
١٢. وإنّ المؤمنين لايتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل، وأن لايخالف مؤمن مولى مؤمن دونه.
١٣. وإنّ المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإنّ أيديهم عليه جميعا ولوكان ولد أحدهم.
١٤. ولايقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، ولاينصر كافرا على مؤمن.
١٥. وإنّ ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإنّ المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.
١٦. وإنّ من تبعنا من يهودي، فإنّ له النصر والأسوة، غير مظلومين ولامتناصر عليهم.
١٧. وإنّ سلم المؤمنين واحدة، لايسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله، إلّا على سواء وعدل بينهم.
١٨. وإنّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا.
١٩. وإنّ المؤمنين يبئ بعضهم على بعض، بما نال دماؤهم فى سبيل الله، وإنّ المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.
٢٠. وإنّه لايجير مشرك مالا لقريش ولانفسا، ولايحول دونه على مؤمن.

٢١. وإنّه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنّه قود به إلاّ أن يرضى ولى المقتول، وإنّ المؤمنين عليه كافة ولايحل لهم إلّا قيام عليه.
٢٢. وإنّه لايحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه، وإنّه من نصر أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولايؤخذ منه صرف ولا عدل.
٢٣. وإنّكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مرده إلى الله عز وجل و إلى محمد صلى الله عليه وسلم.
٢٤. وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.
٢٥. وإنّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم و للمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم و أثم، فإنّه لايوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
٢٦. وإنّ لليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.
٢٧. وإنّ لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف.
٢٨. وإنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.
٢٩. إنّ ليهود بني هاشم مثل ما ليهود بني عوف.
٣٠. وإنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.
٣١. وإنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنّه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
٣٢. وإنّ جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.
٣٣. وإنّ لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإنّ البرّ دون الإثم.
٣٤. وإنّ موالي ثعلبة كأنفسهم.
٣٥. وإنّ بطانة يهود كأنفسهم.
٣٦. وإنّه لايخرج منهم أحد إلّا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم، وإنّه لاينحجز على ثار جرح، وإنّه من فتك فبنفسه فتك وأهله بيته إلاّ من ظلم، وإنّ الله على أبرّ هذا.
٣٧. وإنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنّ بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم، وإنّه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإنّ النصر للمظلوم.

٣٨. وإنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.
٣٩. وإنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
٤٠. وإنّ الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم.
٤١. وإنّه لا تجار حرمة إلاّ باذن أهلها.
٤٢. وإنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإنّ مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّ الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وابره.
٤٣. وإنّه لا تجار قريش ولا من نصرها.
٤٤. وإنّ بينهم النصر على من دهم يثرب.
٤٥. واذا دعوا إلى صلح يصالحون ويلبسونه، وإنّهم إذا دعوا إلى مثل ذالك فإنّه لهم على المؤمنين إلّا من حارب فى الدين على كلّ أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم.
٤٦. وإنّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البرّ دون الإثم لا يكسب كاسب إلّا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه.
٤٧. وإنّه لا يحل هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنّه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلّا من ظلم وأثم، وإنّ الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[١٦]

مما تقدم ذكره يتبيّن لنا أنّ لكلمة «أمة» المذكورة في الفصول السابقة مفاهيم عميقة، وعلى الأخص فيما يتعلق بتغيير مفهوم «قبيلة» السائر في بيئة القبائل العربية في ذلك الحين. على أنّ الجو الإجتماعي الضيّق والحياة السياسية المحدودة التي سببها حدوث التعصب القبلي والإرتباط الدموي الذي حدده جدار الولادة – شرع ينهار على مهلة وعلى سبيل التدريج، ثم بدّله المجتمع الواسع بعد ذلك، ذلك المجتمع الذي كان لكل واحد من أعضائه حقوق وواجبات متساوية. وهذا يدل على أن النبي محمد

[١٦] أنظر: محمد حميد الله، *مجموعة*، ص. ٤١-٤٧. وانظر أيضا: ابن إسحاق، *سيرة الرسول*، ص. ٣٤٨-٣٥١. انظر: محمد جلال شرف، *الفكر الساسى فى الاسلام شخصيات ومذاهب*، ص. ٥٥- ٦٠.

عليه الصلاة والسلام قد أنشأ الظروف الطيبة لبناء مجتمع متّحد وهو مجتمع المدينة المنوّرة الموحّد بدون التفرقة بين الأديان و الإرتباط القبلي أو الإرتباط الدموي. وتلك كلها مضمونة بوضوح في فصول ميثاق المدينة إبتداء من الفصل الخامس والعشرين (٢٥) إلى الفصل السابع والأربعين (٤٧).

ومن كلمة «الأمـة» هذه ينعكس معنى الدولة والقومية. ورغم أنّ اصطلاح دولة القومية (state-nation) -تاريخيا – قد ظهر بعد ذلك قرونا وقرونا – غير أنّ روحها تنعكس في اصطلاح "أمـة" وهو الإصطلاح الصائب الذي استخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك الحين لتوحيد سكان المدينة المنورة في المجتمع الذي كان يؤيّد لزوم التعاون البناء بين أبنائها للحصول على الأمن والرفاهية. وكانوا في وعي شديد وحاجة ماسة إلى الحياة الجمعية التي تعمها السلام. والتحقيق العملي للحصول إلى ذلك الغرض يفتقر إلى وجود الفكرة التي يقبلها الجميع، إذ أن على هذه الفكرة الأساسية تبنى الحياة المتوازنة والسلام الدائم.

جدير بالذكر أن يوليوس ويلهوسان (Julius Wellhausen) قدّم تعليقه لاصطلاح "أمة" المكتوب داخل ميثاق المدينة، وذلك أنّ المفهوم العام لتلك الكلمة هو إحدى الروابط في المجتمعات الدينية، وأما كلمة "الأمة" في الميثاق المذكور فلها مفهوم أوسع يتضمن كل ولايات المدينة المنورة، حيث يوحّد فيها جميع السكان من المهاجرين والأنصار والأمة اليهودية فضلا عن الأمم الأخرى في رابطة واحدة لأجل السلام الدائم والتوازن في الحياة.[١٧] وتماشيا مع ذلك صرح مونتغومري وات أن المشكلة البارزة في ذلك المجتمع (الأمة) هي نشر السلام وتحقيق الرفاهية و السكينة بين مواطني المدينة وهي المشكلة التي لا تختص بمواطني المدينة فحسب، بل هي من المشاكل التي تتعلق أيضا بأهل الجزيرة العربية حيث نجح فيها النبي محمد عليه الصلاة والسلام في رفع شأنها فضلا عن نصب نظام جديد يفوق الفهم والعصبية القبلية والمجتمعات والروابط الأخرى الموجودة في ذلك الحين.[١٨] نعم، إن لكل رئيس من رؤساء القبائل (قبل الإسلام) قوة أو سلطانا سياسيا (على سائر أعضاء قبيلتهم)، وكان كل واحد منهم لا يتصلون إلاّ مع رؤساء القبائل الآخرى. فبعد أن أصبحوا في داخل بناية المجتمع الجديد، ظل أبناء القبائل الموجودة في ذلك الحين يتحدون كأنّهم

[١٧] أنظر: ويلهوسان، *The Arab Kingdom and its Fall*، ص. ١١-١٢.

[١٨] أنظر: مونتغومري وات، *Muhammad at Madina*، ص. ١٤٣-١٤٤.

يبنون اتحادا كونفدراسيا (confederation) في مجتمع سموها بعدُ "بالأمـة " تحت رئاسة النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وبذلك تصوّر لنا أنّ مفهوم "الأمـة" في ميثاق المدينة هو ظهور المعنى السياسي الجديد بين أعضاء المجتمع، يعني ظهور الوعي في إيجاد دولة رغم أن كانت على شكل بسيط جدا. وعلى هذا يمكن أن يُفهم أنّ كلمة "أمـة" في ميثاق المدينة يختلف معناها عن المعنى الذي يُفهم خلال هذه الفترة الزمنية، وهو الذي يرجع إلى معنى "المجتمع الديتي".

على أنّ كلمة " الأمـة " في القرآن الكريم لا يدلّ دائما على ذلك المعنى (المجتمع الديني)، ويدلّ على ذلك ما قدّمـه الشيخ أحمد مصطفى المراغي[١٩] كما يأتي:

١. كلمة « الأمـة « معناها جميع الناس، وهي جماعة من الناس الذين يعيشون (في المجتمع) حيث يتفاعل كل واحد منهم مع الآخر، كما قاله الله تعالى في القرآن الكريم: كان النّاس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (سورة البقرة: ٢١٣)

٢. كلمة « الأمـة « يريد بها الأمة الإسلامية، كما ذكر في القرآن الكريم: كنـتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر (سورة آل عمران: ١١٠)

٣. كلمة « الأمـة» بمعنى طائفـة من المسلمين، كما قاله سبحانه وتعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (سورة آل عمران: ١٩٤)

٤. كلمة « الأمـة» بمعنى الإمـام الذي جُعل أسوة كقوله تعالى: إنّ إبراهيم كان أمـة قانـتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (سورة النحـل: ١٢٠)

٥. كلمة « الأمـة « بمعنى فترة من الزمان كقوله تعالى: قال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمّـة أنا أنبّـئكم بتأويله فأرسلون (سورة يوسف: ٤٥)
ومثل قوله تعالى: ولـئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أمـة معـدودة (سورة هود: ٨)

٦. كلمة «الأمـة» بمعـنى الدين، كقوله تعالى: إنّ هذه أمـتكم أمـة واحدة و أنا ربكم فاعبـدون (سورة الأنبـياء: ٩٢)

---

[١٩] مصطفى المراغى، *تفسير المراغى* (مصر: دارالفكر).

ومن الآيات السابقة التي قدّمها الشيخ أحمد مصطفى المراغي يتبيّن لنا أنّ مفهوم "الأمـة" في القرآن الكريم يتناسب دائما مع سياق الكلام المستعمل. وبقول آخر يقال إنّ كلمة "الأمـة" لا تدل دائما على مفهوم المجتمع الديني. وهكذا شأن مصطلحات الأمـة التي استعملها رسول الله في ميثاق المدينة لم تكن خاصة للمسلمين فحسب، بل تشتمل أيضا على المعاني الجنسية والوطـنّية.

وعلاوة على ذلك، كان ظافر القاسمي في بحثه في كلمة "الأمة " المكتوبة في ميثاق المدينة قدّم كلمة "وطنية "مرادفا لتلك الكلمة (الأمة).[٢٠] وهي عبارة عن الشعبـية، بينما كانت الأهمية المرجوة المشتملة في ميثاق المدينة هي القضاء على التعصب القبلي فضلا عن كشط الفهم التطلعي بين مواطني المدينة المنورة.

هـ. ميثاق المدينة كدستور

يعتقد كثير من الكتّاب المسلمين أن ميثاق المدينة عبارة عن الدستور للدولة الإسلامية الأولى، إلا أنّ من الأمور التي يلزم تدوينه أنّ ميثاق المدينة لم يذكر فيه عن دين الدولة. والمسألة الهامة التي يجب تحليلها سريعا هي تنشـئة التوحيد و الوحدة بين مواطني المدينة الذين كانوا يتكوّنون من مختلفي العناصر. على أنّ أهل المدينة في ذلك الحين رغم أن كانوا متكونين من القبائل المختلفة غير أنّهم في مجتمع واحد وأمة واحدة. فوجود الإتصال أو العلاقة بين المسلمين وغيرهم مبني على أساس مبادئ المجاورة الجيّدة، حيث كانوا يتعاونون بينـهم في مواجهة هجوم الأعداء من الخارج كما يحترم كل واحد منهم حـرّيـّة التـديّن. وإن استيفاء شروط إقامة دولة قد تحقّق مهما كانت تلك الشروط لم تزل بسيطة، وهي لزوم وجود ولاية، وحكومة، ودولة، ورعية، وحرية، ودستور.

كان التقدير على ميثاق المدينة كدستور قد قدّمه هاملتون أليكساندر روسكيم جيب (Hamilton Alexander Rosskeem Gibb) وهو البروفيسور السابق في اللغة العربية بجامعة أوكسفورد (Oxford University)، أنّ ذلك الميثاق نتيجة للفكر الذكي والخطوة الأولى لمحمد عليه الصلاة والسلام وليس وحيا (من عند الله)، ولذلك

[٢٠] أنظر: ظافر القاسمي، *نظام الحكم في الشريعة والتاريخ* (بيروت: دار النفائس، الجزء الأول، ١٩٧٤)، ص. ٣١.

كان له صفة قانونية يمكن تغييره.[٢١] وتماشيا مع ذلك، قدّم محمد مارمدوك بيكطال (Muhammad Mamaduke Pickthal) فكرته في مقدّمة ترجمته للقرآن الكريم أنّ للنبي عليه الصلاة والسلام كأحد الزعماء إهتماما بالغا باستقرار مجتمع المدينة المنورة، ويظهر ذلك في سعيه لإيجاد دستور.[٢٢] والدستور الذي يريد به بيكطال ليس إلا ميثاق المدينة. وذلك يتماشى مع مونتغومري وات الذي ذكر في تحليله عن الميثاق ذكرا أن الذي يراد بالدستور هو دستور المدينة.[٢٣]

ومما لا يخفى على أحد، أنّ مجتمع المدينة المنوّرة قد أصبحت مجتمها قويا، ذلك المجتمع الذي يمكن أن يذكر دولة مدينة، وهي الدولة التي اتسعت بعد ذلك، بسبب كونها متأسسة على الروابط الروحية الإيمانية التي ذكرت داخل القيم الدينية.

وقد صحّت نظرية ابن خلدون التي قدمها أنّ الأمة العربية على سبيل العام لا يقدرون أن يقيموا أية مملكة إلّا وكانت على أسس دينيّة، وذلك مثل الوحي الذي أتى به النبي أوالتعليم الديني الذي جاء به الولي.[٢٤] بيّن ابن خلدون عن سبب ذلك في مقدمته كما يأتي:

«والسبب في ذلك أنّهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم إنقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرئاسة، فقلّما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المُذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يُذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها».[٢٥]

قدّم ميكدونلد (D.B. Mc Donald) تلخيص نظرية ابن خلدون أنّ العرب في الحقيقة لايقدرون على إقامة أية حكومة، إلاّ إذا وحّدتهم الروح الدينية.[٢٦] نعم، تلك

---

[٢١] هـ. ر. جيب، *Mohammedanism*، ص. ٤٣.

[٢٢] محمد مارمدوك بيكطال، (New York *The Meaning of The Glorious Kur'an*، ١٩٥٣)، ص. xvii.

[٢٣] مونتغومري وات، *Islamic*، ص. ٤-٥.

[٢٤] أنظر: ابن خلدون، *مقدمة* (بيروت: دار البيان، بدون سنة)، ص. ١٥١.

[٢٥] *نفس المرجع*.

[٢٦] د. ب. ميكدونلد، *Development of Muslim Theology Jurisprudense and Constitutional Theory* (New York: Charles Scribner's Sons، ١٩٠٣)، ص. ٥٠-٥١.

النظرية يمكن تحقيقها، وعلى الأقل بين البدو من العرب في بداية تطور الإسلام. وربما كانت صحة نظرية ابن خلدون هذه يمكن معرفتها أيضا في بداية ظهور المملكة العربية السعودية التي أقامها محمد بن سعود (١٧٠٢-١٧٩٢ للميلاد). فقد كانت النهضة التي قام هو بها اعتمدت اعتمادا قويا على أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣- ١٧٨٧) الدينية الذي كمّل فهم ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨ للميلاد).

على أنّ وحدة الأمة التي حقّقها النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق ميثاق المدينة، كانت حقيقتها ظاهرة تدلّ على أنّ القوانين القبلية قد اندثرت. ففي هذا الرسم المنظوري أصبح الدستور الجديد شرع يبدو لمجتمع المدينة الجديدة. وهذا يدلّ أيضا أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد اعترف به المجتمع زعيما ذا سلطة سياسية، إلاّ أنّه للأسف، كان بعض أعضاء المجتمع من اليهود مثل بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة لم يكونوا مطيعين نحو الدستور الذي اتفقوا على تنصيبه، وكان عدم إطاعتهم يظهر عن طريق مواقفهم التي تميل إلى قبيلة قريش بمكة.

و. الخاتمة

نجح النبي صلى الله عليه وسلم -بعد ظهور الإسلام- في تشكيل المجتمع الجديد بالمدينة المنوّرة الذي سماه بعض المثقفين المعاصرين بالدولة المدينية (*city state*). وبدعم أعضاء جميع القبائل المنتشرة في سائر أنحاء الجزيرة العربية الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك الحين ظهر بعد ذلك دولة قومية (*nation state*).

ولتأييد ذلك المجتمع أخرج الرسول عليه الصلاة والسلام ميثاق المدينة، وهو الميثاق الذي أصبح جوابا دستوريا للواقع الإجتماعي والسياسي والديني الذي حدث بين مواطني المدينة المنوّرة في ذلك الوقت.

اشتمل الميثاق على كلمة «الأمة» وهو الإصطلاح الصائب الذي استخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك الحين. وذلك لتوحيد مواطني المدينة المنورة في المجتمع الذي كان يؤيّد لزوم التعاون البناء بين أبنائه، إذ كانوا متكوّنين من العناصر المختلفة في مثل المهاجرين والأنصار واليهود، وما إلى ذلك. ومن هنا نعلم أنّ مفهوم الأمة في ميثاق المدينة المذكور يشمل مواطني المدينة جميعهم من غير التفرقة بينهم في الحقوق والواجبات، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، حيث يعيش الجميع على أساس المساواة والإخاء والحرية والسلام.

المصادر

احمد ايراهم، *مكة والمدينة فى الجاهلية و عهد الرسول*، مصر: دار الفكر، د.س.

احمد مصطفى المراغى، *تفسير المراغى*، مصر: دار الفكر، د.س.

د.ب. ميكدوكلد، *Development of Muslim Theology Jurisprudence and Constitutional Theory,* New York، ١٩٠٣.

ظافر القاسمي، *نظام الحكم فى الشرية والتاريخ*، بيروت: دار النفائس، د.س.

حسن ابراهيم حسن، *تاريخ الإ سلام والدين والثقف والإجتماعى*، القاهرة، د.س.

هـ.أ.ر. جيب، *Mohammedanism and Historical Survey*, Oxford: Oxford University Press، ١٩٤٩.

ابن اسحاق، *سيرة الرسول*، مصر: البابي الحلبي، د.س.

ابن هشام، *السيرة النبوية*، مصر: البابي الحلبي، د.س.

ابن خلدون، *مقدمة*، بيروت: دار الفكر، د.س.

محمد حميد الله، *مجموعة الوثائق السياسية لعهد النبي والخليفة الراشدة*، دار الفكر، د.س.

محمد جلا ل الدين سرور، *قيام الدولة الإسلامية*، القاهرة: البابى الحلبى، د.س.

محمد الخالد، *ختم الأنبياء*، القاهرة: دارالبيان، د.س.

محمد فؤاد عبد الباقي، *معجم المفهرس للألفاظ القرآن*، مصر: دار الفكر، د.س.

محمد مار مدوك بيكطال، *The Meaning of the Glorious Qur'an.* New York، ١٩٦٣

ويليام مونتغوموري وات، *Mohammad Prophet and Statasment.* London، ١٩٦٩.

ويليام مونتغوموري وات، *Muhammad at Madinah.* London، ١٩٥٦.

ويليام مونتغوموري وات، *Islamic Political Thought.* Ediburgh: University Press ١٩٦٨.

ولهوسان، يوليوس، *The Arab Kingdom and Its Fall.* Calcuta، ١٩٢٧.

زين العابدين احمد، *Piagam Nabi Muhammad SAW.* Bulan Bintang. Jakarta، ١٩٧٣.